

مجلة أنثروبولوجية (الأويان) المجلد 16 العدد 01 بتاريخ 15 جانفي 2020م

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الانزياح بين الأهمية والأنواع¹

The displacement between importance and species

د/ عبد الحميد معيفي - د / طارق زيناي

Dr. / Abdul Hamid Maifi - Dr. Tariq Zainai

جامعة الطارف

¹Full affiliation, in English

المركز الجامعي . ميله

²Full affiliation, in English

تاريخ القبول: 2019/05/19م

تاريخ الارسال: 2019/05/18م

ملخص :

نحاول في هذا المقال أن نتطرق إلى الصورة الانزياحية في جانبيين وهما: الأهمية والأنواع ومحاولة لم مانعرفه مع بعض الأقوال النقدية عن هاته الظاهرة بغية التقرب منها نظرا للأهمية التي تكتسبها في الساحة الأدبية، وذلك للاستفادة والمتعة .

الكلمات المفتاحية: الانزياح، الأهمية، الأنواع

Summary

We try in this article to touch on the image of displacement in two aspects: the importance and types and an attempt not to hide with some of the monetary statements about this phenomenon in order to get closer to them because of the importance of the literary arena, to benefit and pleasure

Key words: Displacement, importance, species

¹ المرسل حشلافي لخضر hachelafi2016@gmail.com

1- أهمية الانزياح:

يكتسي الانزياح أهمية كبيرة في الساحة الأدبية، فهو يمثل سلاح الشاعر الذي يرضي به فضول المتلقي، ويعطي مساحة جمالية للعمل الأدبي؛ لأنه ينقله إلى مرحلة الفنية الإبداعية، أين يتوجه المتلقي إلى النص توجهها حقيقيا ملفوفا بالتساؤل والتأويل والشرح والتحليل، فحينما يكون النص مكتوبا بلغة عادية لا يحتاج المتلقي إلى التأويل والتفسير والشرح كي يفهم أو يفهم غيره؛ لأن المعنى موجود ضمن العبارات القريبة منا، لهذا يكون المعنى أيضا قريبا من المتلقي، وهذا ليس بالعمل الإبداعي، ولا بالعمل الذي يستهوي القراء، فالقارئ عادة ما يبحث عن عمل يثير فضوله ويتركه يتساءل عن المعاني والدلالات، وقبل ذلك يشده ويبهره ويمتعه، فيصبح المتلقي شريكا في العمل الأدبي، لأن الانزياح من شأنه أن " ... يبعث على دلالات جديدة، ويشرك القارئ في عملية التوصيل من خلال إعطائه مساحة إلى التأويل والتقدير "(عبد الباسط محمود، ليبيا، 2005، ص 256)

وهذا ما يبحث عنه كثير من القراء الذين من شغفهم يصبحون أجزاء لا تتجزأ من هذا العمل فيصبح القارئ يتصرف بحرية أكثر، ويبعد عنه التردد والتراجع، ويقدم على النص محاولا الغوص فيه، واقتحامه اقتحاما يجعل من النص القديم نصا جديدا، وربما قد يكون أكثر ثراء، وجدة ونشاطا.

فالانزياح له أهمية بالغة في تزيين اللفظ، وجعله مستساغا " وهو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يعتز لك عن بديعه ويفضي بك على لطيفه ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لك موقعه، ثم تنظر فنجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى آخر "(عبد القادر الجرجاني، لبنان، 2003، ص 148)

وهذه غاية كل كاتب أو شاعر لأنه ليس من السهل أن يصل الكاتب إلى هذه الدرجة من الإبداع، إلا إذا كان مختصا، وله موهبة وقدرة في البناء اللغوي والنقد والتمرس، وهناك نصوص أدبية وصلت إلى هذه الدرجة العالية من الإبداعية حتى وصفت بهذا الوصف حتى أبحرت المتلقي وجعلت منه طرفا مهما في العملية الكتابية الإبداعية.

والكاتب الجيد هو الذي لا يترك مجالا للمتلقي، بل يتركه دائما متابع لما كتب ومهتما لأن الانزياحات الموظفة كان لها الدور والأهمية في جعل المتلقي مشدودا، وذلك في تغيير النسق من حين إلى آخر، ويأتي في كل مرة بتغيير مفاجئ ليشد انتباه القارئ، وجعله مرتبطا بالنص، "و أن يكون الشاعر آخذا في معنى" فيعدل عنه إلى غيره قبل أن يتم الأول، ثم يعود فيتممه فيكون فيما عدل إليه مبالغة في الأول وزيادة في حسنه " (حسن طبل ، ص 157)

لهذا لا يجب على المتلقي أن تكون مفاجأته كبيرة إلى حد الدهشة القصوى، وإنما الدهشة من شأنها أن تجعله يؤول ويفسر ويحلل ويحلل، بل على الكاتب أن يجعل من الانزياح مولدا لدهشة تجذب القارئ ولا تنفره، لأن القارئ حينما يعجز عن فك مدلولات الألفاظ الغريبة أو الصور البديعة، لربما يحس بشيء من الاشمئزاز ولكن كثير من القراء من تجددهم كلما صعب النص وغمض إلا وزاد تعلقا به وتحديا للغوص فيه والكشف عن أسرارها، وهذا هو النص المناسب للقارئ الجيد، فالشاعر مثلا هو مبدع والإبداع هو الاتيان بالجديد، وتوظيفه للألفاظ وكأنه بالأمر الغامض إلى حد ما، ولكن عادة ما يبقى في السياق نفسه، لذلك " ... فلا غرابة إذن أن نرى في ترتيب كلماته أمرا غير مألوف أو معهود " (إبراهيم أنيس ، مصر،

1978، ص 340)

وهذا الأمر الغير مألوف والغير معهود في نهاية المطاف إبداع، والقارئ من الأفضل له أن يحاور نصوصا فيها من الإبداع الكثير لكي يستفيد ويستمتع بما يقرأ، وهذا هو دور النص الأدبي الإفادة والمتعة، والقارئ

يجب أن يكون في مستوى النص "... فاللغة المحورية التي ترتبط ببعد جمالي يشحن المتلقي بطاقة انفعالية كانت وراء البحث عن العادي والمألوف الذي يتمثل بالمعيار، ولذلك ظل البحث النقدي والبلاغي الغربي القديم منشغلا بالبحث عن معيار يمثل الحالة الطارئة الناتجة عن الاستخدام غير العادي للغة ...". (موسى سامح رابعة ، الأردن، 2003، ص 54)، وكأن هذا يمثل مقياسا نقيس به درجة الخروج، وليست القيمة في كيفية القياس، وإنما الأهمية كلها تكمن في مساحة هذا الخروج، والذي يعبر عنه بالانعطاف، فكلما كان الانعطاف كبيرا كلما كان وقع الكلام على المتلقي أكبر، فهذا الخروج يمثل حالة طارئة تثير الدهشة بالنسبة للمتلقي وتجعله أكثر لسوقا بالعمل الأدبي؛ لأنه وجد فيه مبتغاه، وهذا المبتغى يتمثل في الإفادة والمتعة، وهذه غاية الأدب، وهدف كل مبدع، وهو أن يجد إبداهه قبولا ويحدث تأثيرا ويترك أثرا، وبهذا يبقى إحساس المتلقي متوهجا؛ لأنه عايش حقيقة الإبداع وعرفه عن كثب، وعلم مدى تأثيره وأهميته، وهذا يعود ذاك الخروج الذي تعنونه صورة شعرية تنبع من وجدان الشاعر مخلقة أثرا كبيرا .

كما يعود أثر الصورة في نفسية المتلقي إلى كيفية معالجة الشاعر للحالة والتعامل معها بالكيفية المثلى التي تستوجب معنى للفظ المناسب، " ومعلوم أن مقياس الجودة الأدبية هو مدى تأثير الصورة البيانية في نفوس متذوقيها بما جمعت في إطارها من سمو المعاني، وبلاغة الألفاظ وروعة التناسق ودقة النظم وحسن إيقاع الكلام، إلى غير ذلك مما يبلغ تأثيره في النفوس كل مبلغ " (صلاح الدين عبد التواب، مصر، 1995، ص 03)، وتتولد الصورة الشعرية عادة بهذه الكيفية جامعة جميع هذه العوامل حينما يمر الشاعر بتجربة تؤثر بعمق تاركة أثرا كبيرا عنده، حينها تنصهر بوجوده مدة من الزمن، وبعدها يصدرها أو ييوج بها على هاته الشاكلة، وكلما كانت التجربة عميقة كلما كان تأثيرها على المتلقي فوريا، والتجربة الصادقة والواقعية هي التي يكون بسببها الشعر خالدا إذا كان قائله متمرسا، وهذا ما نجده خاصة في الشعر الثوري الجزائري، فالشاعر الذي عايش الثورة يكتب بصدق ويكون لما يقوله تأثير مباشر على النفوس، وهذا نجده كذلك عند العرب بخوضهم للحروب، "... فلقد استلهم العرب من صورها وتجاربهم معها كثيرا من

أمثالهم وأقوالهم السائرة تلك التي جاءت معبرة عن كثرة تجاربهم الحربية او عن خبرتهم بأدوات الحرب ... " (حمد النيل محمد الحسن إبراهيم ، 1425 هـ، ص 5)

ومثل هذه التجارب كفيلة بأن تصنع الشعراء في حد ذاتهم وتلهمهم فيرسلوا أعذب الأشعار ، وأكثرها تأثيرا يبدعون ويأتون بأجود الصور التي من شأنها أن تعزز النص وتكتب له النجاح ، وتبقى الرابط القوي بين الشاعر والمتلقي تجذبه ليبقى منقادا إليها ؛ لأن هناك مواضيع حساسة ، وخاصة موضوع الصراعات التي يطغى عليها الحماس ، فينقل ذلك إلى نفسية المتلقي ، " ... فما أكثر ما يجعل الشاعر العربي القديم في تشبيهاته واستعاراته على الحرب وأدوات اللغة والمعاني المتعلقة بها ، يستمد منها صوره الشعرية ، التي يقرب بها معانيه ويوضحها ... " (حمد النيل محمد الحسن إبراهيم ، 1425 هـ، ص 8) ، والعربي معتاد على هذا النوع من التجارب ، لذلك تجدها كتب بأريحية كبيرة ، لأن هذا الوضع أصبح جزءا من حياته ، أو بتعبير أدق فطر على هذا النظام القبلي فتقبله بسليباته ، وتعامل معه بشكل أو بآخر ، ولكننا في الأخير نجده قد كتب عنه بصدق ، فكانت هذه الكتابات توثيقا لتلك الحقب ، وما الشاعر إلا مؤرخ يسجل كل ما يمر به في صوره الانزياحية لذلك يتفوق على المؤرخ ؛ لأن المؤرخ يفيدنا فقط ، أما الشاعر فهو يفيدنا ويمتدنا بصوره ، " وسنرى أن هذه الصورة التي تتولى نقل التجربة أو المشهد ، وتقوم بتجزئة المعاني والأفكار لا تعتمد فقط على الإيحاء وإثارة الخيال ، بل إنها تنتظم أمورا ، بما تتم الصورة كعمل أدبي رائع وفن قولي جميل ، ينشأ عنه تيارا متدفق من صور الدهشة ، ومن الفكر ومن العواطف والوجدان ، ومن المعاني المتناسكة تماسكا عقليا منطقيا أو وجدانيا عاطفيا " (صلاح الدين ع. التواب ، مصر ، ص 18)

وستبقى الصورة الانزياحية تلعب دورا كبيرا في جعل النص الأدبي يأخذ تفردة وتميزه ويكتب له النجاح بفضلها ، فهي تبقى ملجأ للشاعر حينها تحتدم بداخله الأمور وتتصارع لتخرج تلك الصور محملة بالعياء الممتع ، نافذة إلى قلب المتلقي المتعطش ، فترويه وتزيل عنه عطش الأيام ، لبصير النص زادا له يغذيه كلما احتاج للغذاء .

2- أنواع الانزياح:

إن الانزياح من الظواهر التي تتعلق بالأسلوبية بشكل كبير، فهو بذلك قادر بعناصره المتنوعة أن ينتقل بالكلام من مستواه العادي إلى مستوى آخر، لا يمكن أن نقول غريب بقدر ما يمكننا أن نقول: بأنه كلام مختلف عن كلا منا العادي، وهذا الاختلاف هناك من سماه " بالفجوة " وهناك من سماه " بالعدول " وهناك من سماه " مساحة التوتر "، وهناك من سماه " بالخروج "، وهناك من سماه " بالانعطاف " وكذلك " الميلاق " وكذلك " التجاوز "، وكل هذه المصطلحات تصب في مصب واحد رغم أنها ظاهريا تختلف ولكن في المضمون تدل جميعا على ما يسمى بالانزياح.

وهناك من النقاد من تكلم عن هذا المصطلح، وعن هذه الظاهرة بشكل موسع وأيضاً بشكل دقيق نظراً للأهمية التي تكتسبها هذه الظاهرة في النص الأدبي عامة، وفي النص الشعري على الخصوص، وهو ظاهرة تحسن الكلام وتجعله مستساغاً وممتعاً حين يستقبله المتلقي لأول وهلة، ويلاحظ وكأنه نشار، ولكن حينما تتعود الأذن عليه يصبح كما قلنا مستساغاً وعذبا، والأذن الموسيقية ترتاح إليه، ويصبح الكلام العادي غير ممتع، نظراً لأنها تعودت على هذا اللون من الكلام الذي يطربها، وتكلم النقاد في تسميات المصطلح ومفهومه ودوره، وكذلك حاولوا أن يقسموه، ووصلوا إلى أن " ... الانزياح قادر على أن يجيء في الكثير من هذه الكلمات وهذه الجمل، وربما صح من أجل ذلك أن تنقسم الانزياحات إلى نوعين رئيسيين تنطوي فيهما كل أشكال الانزياح " (أحمد محمد ونيس، لبنان، 2005، ص 111)

ومن هذا المنطلق نرى بأن النقاد وصلوا إلى نوعين، أو بتعبير آخر حددوا نوعين للانزياح، وكل منهما يتفرع إلى أشكال، أي كل منها يخص شكلاً معيناً، ويكون النوع الأول وكأنه يخص المضمون، والشكل الثاني يخص أو يمثل الإطار الخارجي. أي الشكلي.

وقد قدم النقاد النوعين ، وهما مختلفان حتى يتمكن القارئ من التمييز بينهما تمييزا واضحا مبرزين ذلك بقولهم : " فأما النوع الأول فهو ما يكون فيه الانزياح متعلقا بجوهر المادة اللغوية مما سماه كوهن (الانزياح الاستبدالي)، وأما النوع الآخر فهو يتعلق بتركيب هذه مع جاراتها في السياق الذي ترد فيه، وهذا ما يسمى (الانزياح التركيبي)" (أحمد محمد ونيس ، لبنان، 2005، ص 111)

ومن خلال هذا تبين بأنه حدد نوعين رئيسين، وهما الانزياح الاستبدالي الذي يخص جوهر المادة اللغوية ،وقد يعني في هذه الحالة المعنى أو الدلالة العامة التي تحدث من جراء التناسق بين الألفاظ اللغوية، وكل ذلك يكمن جوهر المادة اللغوية في مدى قدرة اللغة الموظفة على الإيحاء الذي يعمل الكاتب أو الشاعر على أن يكون إيحاء مقنعا ودالا ومعبرا عن الحالة تعبيريا كاملا وعاما.

أما النوع الثاني: فهو يختص بتركيب الجملة في حد ذاتها، فإن كان التركيب بالكيفية العادية، فهنا الكلام لم يخرج عن السياق العام والمألوف لدى المتلقي، وإذا حدث في الجملة التقديم والتأخير، فالقارئ يجب عليه في هذه الحالة التأمل الجيد والذي من شأنه أن يلغي الدهشة لديه، ويدخل هذا النوع من الانزياح في المجال النحوي بشكل خاص " ... لأننا حين نقدم الخبر فإننا في نفس الوقت نؤخر المبتدأ، وحين نقدم المفعول فإننا نكون قد أخرنا الفاعل " (أحمد درويش ، مصر، 1998، ص 169)

وفي هذا التقديم والتأخير فنية، جانب متعوي لأنه يطلق على هذا التلاعب بالألفاظ، أي إزاحة لفظة عن مكانها ووضعها في مكان أخرى ووضع الثانية مكان الأول، وهكذا فيصير المتلقي مشدودا بطريقة أو بأخرى، وخاصة لمحاولة فهم الجملة وحالتها الإعرابية، فإن استطاع المتلقي ذلك فيكون قد يستطيع الوصول على المعنى الجوهرية من خلال إعادة الألفاظ على مواضعها الأصلية.

أما النوع الأول وهو النوع الاستبدالي أي أننا نقوم باستبدال كلمة مقابل كلمة، ولكن الكلمة الثانية تكون غريبة عن ذهن المتلقي وهذا ما يطلق بالانزياح ولو نقدم مثالا، وهو يخص للجانب البلاغي وتعني به الصورة التشبيهية حينما يتكلم القائل ويقول:

جاء الأسد عوضا عن جاء عمر فالمتلقي حين سماعه بجملة (جاء الأسد) مباشرة انتباهه ينشط لأنه سمع لفظة غريبة وهو يعرف ذلك: أي أن اللفظة الغريبة وقع بينها وبين لفظة أخرى استبدال، والمتلقي في هذه الحالة يعرف بأن المتكلم يتكلم مجازيا، ولكن فضول المتلقي وشوقه إلى رؤية هذا الشخص الذي يشبه الأسد وبذلك نلاحظ بأنه حدث انزياح في هذه الجملة واستبدال اسم (عمر) بلفظة (الأسد) وهذا ما يسمى بالانزياح الاستبدالي وهناك أمثلة كثيرة في هذا الجانب جانب الانزياح الاستبدالي.

ونقدم مثالا آخر، وهو كذلك يخص الجانب البلاغي ونركز على الصورة الاستعارية، وفي هذه الحالة كذلك استبدال لفظة بلفظة، وتكون اللفظة الثانية غريبة لأنها ليست في موضعها الحقيقي، حينما يلحق الشمس مشرقة، معوضا بأن نقول: الشمس مشرقة نقول الشمس ضاحكة، وهنا أتينا بلفظة (ضاحكة) ووضعناها في غير موضعها أي قمنا باستبدال لفظة (مشرقة) وعوضت بلفظة (ضاحكة).

وهذا التعبير الغير عادي يروق المتلقي ويشد انتباهه وفضوله، ويتركه يتساءل ويلجأ إلى التحليل والتأويل في كثير من الأحيان، والأديب حينما يشعر بأن في كلامه شيء من الرتابة، أو البساطة، ويغلب على تعبيره الكلام العادي يعيد بناء نصه من جديد لأنه لم يرض عن تعبيره، وقد وجد فيه شيئا من البساطة، وبأنه مثل النصوص العادية فيلجأ إلى اللغة الانزياحية، لأنه وجد بها ما يسيطر به ومن خلاله على المتلقي ويرغمه على مواصلة القراءة، أو مواصلة الاستماع وبذلك يستطيع أن يكتب لنصه الخلود، بتكسيه لتلك اللغة العادية لأن "... التعبير الأدبي لما كان يود الإبانة عن داخله الانفعالي لم يجد إلا يستثمر خصائص

التركيب اللغوي لينشي بناء لغويا له نسقه الجمالي وتركيبه اللغوي الخاص " (مصطفى ناصف ، ص 242)

وبهذا الشكل يصبح لهذا النص وزنه الخاص، واستقلاليته الفريدة، حيث يكتسب هذا النص البعد الدلالي، والبعد الإيحائي الذي يميزه عن بقية النصوص، وهنا تكمن الجمالية التعبيرية التي يناشدها كل كاتب وكل شاعر، ولهذا يكون تصنيف هذه النصوص، كل واحد بحسب مواصفاته ومميزاته الخاصة التي تجعل منه نصا مستقلا بذاته تكون في نظام لغوي جميل نظرا للانزياحات التي غلبت عليه فأكسبته حلة الجمال.

والتركيز على ظاهرة الانزياح من طرف صاحب النص الأدبي تبرز بشكل واضح عند متابعة هذا العمل من طرف المتلقي الذي يحق بأنه يكون طرفا في العملية الإبداعية " وإن التأكيدات المختلفة في علم الأسلوب على أهمية مراقبة الانحرافات تأتي من القناعة بكونها ظاهرة أسلوبية عن طريقها يمكن استخدام الظواهر الفنية للأداء التركيبي ... " (رجاء عيد ، 1989، ص 10)

والانزياح بما أنه ظاهرة أسلوبية، فهو يدخل في التركيب سواء أكان ذلك في الأمر المتعلق بالكلمات، أو الأمر المتعلق بالجملة، فهو يزيد متانة وربط وانسجاما لل فقرات المكونة للنص الأدبي .

قائمة المصادر و المراجع:

- 1- إبراهيم أنيس: أسرار البلاغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، القاهرة، مصر، 1978.
- 2- أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998.
- 3- أحمد محمد ونيس: الانزياح، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 2005.

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد 16 العدد 01 بتاريخ 15 جانفي 2020م

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

- 4- حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر الغربي، 1998، ص 18، نقلا عن الحاتمي، حلية المحاضرة .
- 5- حمد النيل محمد الحسن إبراهيم: مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج 19، ع 31، رمضان 1425 هـ.
- 6- رجاء عيد: مفهوم الأسلوب وملامح البحث الأسلوبي في التراث البلاغي والنقدي، مؤتمر النقد الأدبي الثامن، جامعة اليرموك، 1989.
- 7- صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ط 01، القاهرة، مصر، 1995.
- 8- عبد الباسط محمود: الغزل في شعر بشار بن برد (دراسة أسلوبية)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ليبيا، 2005.
- 9- عبد القادر الجرجاني: دلائل الإعجاز، شكل وتقديم ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، (د ط)، بيروت، لبنان، 2003.
- 10- موسى سامح ربابعة: الأسلوبية مفاهيمها وتحليلاتها، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط 1، الأردن، 2003.